منبر "بيروت"

في سوريا ننتصر وفي سوريا ننهزم

عندما كانت الامبريالية تخطط لاقامة مصالح لها في الوطن العربي ، كانت تفكر في كيفية ادامة هذه المصالح واستمرارها آخذة بعين الاعتبار مسألة وعي شعبنا واحتمال ثورته على وجودها وكنس ما يكون قد أقيم من مصالح لها في هذا الوطن .

وقد اهتدت الامبريالية الى مسألة التقسيم عن طريق ايجاد جسم غريب يفصل مشرق الوطن العربي عن مغربه.ثم عملت على ترتيب الاوضاع بالشكل الذي يضمن بقاء هذا الجسم الى الابد حسب تصورها .

ومن هنا فهي فتتت المغرب كما فتتت المشرق بالشكل الذي يجعل كلا منهما عاجزا عن اقتلاع الجسم الغريب ، الذي صار دولة العدو الصهيوني .

غير أن تفتيت المغرب لم يستطع أن يتفادى وجود قوة عربية هامة ، ممثلة بالقطر المصري ، وذلك لاسباب تاريخية ، رغم ان الامبريالية استطاعت حتى في الخمسينات أن تفصل القطر السوداني عن القطر المصري .

أما في الجانب الشرقي ، فقد تمكنت الامبريالية أن تقطع أوصال الشعب العربي بشكل أتاح لها أن تقيم كيانات صغيرة عاجزة .

وكان التركيز على المنطقة المتاخمة للجسم الغريب ، الدولة الصهيونية ، فأقيمت دولة على أرض الرافدين استطاعت أن تضم حوالي نصف سكان الهلال الخصيب في كيان يبعد حوالي ألف كيلو متر عن ساحة الصراع مع الكيان الغريب المصطنع ، ثم عمدت الى تفتيت ما تبقى من شعب في ساحة الصراع مع العدو موزعة الشواطىء بين دولتين هما لبنان وسوريا ، كما استفادت من أوضاع اجتماعية معينة لتقيم دولة تفصل سوريا عن الجزيرة العربية .

ومن هنا فقد قامت في المشرق ، علىالحدود مع العدو ثلاثة كيانات أقواها القطر السوري ، الذي بقي شعبه في حالة تماس صراعي مع العدو ، الامر الذي أكسبه درجة من الوعي القومي والاستعداد الثوري متميزة عما في غيره .

ومن هنا كانت سوريا قلب المشرق العربي ، لا بل قلب الامة العربية المتصارعة مع الصهيونية والاستعمار ، بحكم ما يفصل العمق البشري في مصر عن الوجود البشري المعادي على أرض فلسطين .

وبسبب ذلك فقد كان القطر السوري محلا لمتفجرات وتغييرات مستمرة ، ناتجة عن التناقض بين أماني ومصالح الشعب ، وبين طبيعة الحاكمين وارتباطاتهم .

ولقد كان النشاط الاستعماري،في المقابل ، كبيرا ، وكان يهدف لابقاء هذا القطر بعيدا عن احتمالات الوحدة مع الاقطار الاخرى سواء التي على حدوده أو التي في الجانب الاخر ، ومن هنا فقد كان ينصب الحكومات التي تسمح لمصالحه بالبقاء أو التي تعجز عن مقارعته ، كما كان يقاتل بلا هوادة الحكومات الوطنية حتى يسقطها .

واذا كنا لا نود العودة الى عشرات السنين الى الوراء فحسبنا أن نعود الى الفترة القريبة السابقة ، فقد ضربت الامبريالية الوحدة التي قامت بين سوريا ومصر وأقامت في سوريا نظاما رجعيا مشبوها ارتد على ما كان قد تحقق من انجازات في عهد الوحدة، بعد أن انقض على الوحدة التي شكلت تتويجا لنضال شاق مرير خاضته الجماهير العربية طيلة عشرات السنين .

ولما استطاع حزب البعث العربي الاشتراكي مع قوى وطنية أخرى أن يدك نظام الانفصال في ٨ اذار ١٩٦٣ وظفت الامبريالية كل طاقاتها للاطاحة به ، عن طريق نسف النظام من الداخل ، وقد تمكنت من ذلك في ٢٣ شباط ١٩٦٦ ، حيث أقامت نظاما ، استطاع أن يصفي ، مرحليا على الاقل ،قطاعات واسعة منالوطنيين تحت ستار من المزايدات الكلامية لا مثيل له . وقد استطاعت حرب حزيران أن تكشف بحق خطورة الدور الذي كلف به هذا النظام .

ولما وقعت الفضيحة بتسليم الجولان دون تمكين الجيش السوري من القتال ، لم يجد أهل ذاك النظام الا أن ينقلب بعضهم على البعض الاخر في محاولة لايهام جماهير سوريا والامة العربية ان الذين سببوا الكارثة ـ الفضيحة قد لقوا عقابهم .

وقد استفاد النظام الجديد من تجربته في رجم النظام السابق ، فراح يتظاهر بالموضوعية والجدية والصمت ، الى أن خاض حرب تشرين المحدودة ، محاولا بذلك امتصاص النقمة ، غير أن تلك الحرب التي حاول هذا النظام الاستفادة من البطولات الخارقة للمقاتلين السوريين والعراقيين وغيرهم فيها ، لم تلبث أن كشفته وعرته ، فمن جهة فضحت تلك الحرب مدى الخوف الذي يستشعره هذا النظام من اقامة أي نوع من التنسيق مع العراق ، حين لم يشركه في الاعداد والتخطيط ولم يعلمه بأمر تلك الحرب .

ومن جهة أخرى كشفت تقصير هذا النظام في الاعداد وما كان يقوم به من مغامرة حيث ان العدو استطاع أن يحتل أراض جديدة من القطر السوري . ولولا وصول الجيش العراقي ووقوفه في وجه الاندفاع الصهيوني ، الى جانب الجيش السوري لكانت صورة حرب تشرين قاتمة ولا شك .

واذا كانت حرب تشرين لم تسقط كل ورقة التوت عن وجه هذا النظام ، فقد أتت موافقته على القرار ٣٣٨ المبني على القرار ٢٤٢ والذي أدى الى وقف اطلاق النار وانجراره العلني في التسويات فيما بعد ، لتكشف مدى التزامه بتحرير فلسطين .

ولم يكتف النظام السوري بما ارتكبه بحق سوريا والقضية الفلسطينية ، بل راح يعمل وبنفسه القطري وبتأثير هاجس الخوف من التجربة العراقية على افتعال أزمات وخلافات مع العراق ، لم تكتف بالاساءة الى النظام التقدمي القائم هناك بل تعدته الى الشعب العراقي نفسه .

فبعد محاولة تفشيل أعظم عملية تأميم في العالم الثالث ، وهي عملية تأميم البترول في العراق ، عمد فيما بعد الى قطع مياه الفرات عن ثلاثة ملايين عراقي ، هادفا من وراء ذلك ليس الى ارباك خطط التنمية العراقية ، بل الى تجويع وتشريد هؤلاء المواطنين في محاولة لايجاد تناقض بين الشعب العراقي والشعب السوري ، يحميه من رياح الوحدة فيما بعد .

وقد أتت الاستفزازات المتكررة من جانب النظام السوري ضد العراق لتفضح هدفا قديما جديدا لهذا النظام ، وهو الهروب من مواجهة العدو ، حيث حشد أكثر من نصف الجيش السوري على الحدود العراقية مؤملا من وراء هذا الحشد والاستفزازات وقطع المياه أن ينجر القطر العراقي الى نزاع مسلح معه، يؤمن له ذريعة الهرب من المساهمة في النضال من أجل تحرير الجولان ومن ثم تحرير فلسطين .

ولما أسقط في يد النظام السوري ، ولم تنجر القيادة الثورية في

البقية على الصفحة ـ ٨ ـ